ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

نمط "التبعية" في إدارة "بايدن" لأزمات الإقليم

د. جمال زهران

في تفسير ما يحدث الآن في الإقليم، بعد أن تولى جو بايدن، رئاسة الولايات المتحدة في ٢٠ يناير الماضي (٢٠٢١)، فإنّ نمط "التبعية" هو الإطار التحليليّ الصالح لفهم ما يجرى. فهذا النمط يقوم على أساس فكرة "المركز والتوابع"، حيث إنّ المركز هو الذي يرسم ويخطط ويتخذ القرارات، وإنّ هناك الفروع التي تقوم بالتنفيذ وفقاً لما يمليه عليها السيد المركز. ولا تستطيع هذه الفروع أن تخرج على تعليمات المركز، باعتبار أنها تابعة تبعية مطلقة. ولعلّ هذه التبعية مصدرها موضوعي وشخصي. فالموضوعي هو ذلك الارتباط بالنمط الرأسمالي بدرجاته المختلفة، والتي قد تصل إلى التوحّش، وقد تنخفض إلى الاعتدال بعض الشيء، إلا أنه ليس مسموحاً لأحد الأطراف أو الفروع الخروج عن هذا النمط وهو القائم على حرية السوق، وتعظيم الخاص، وليس مهماً الأخذ بالجناح الثاني وهو الليبرالية السياسية. أما الشخص فيتمثل في أنّ استمرار حكام الفروع، بل والإتيان بهم أصلاً، يرتهن بإرادة ورغبة وتخطيط ورضى، المركز. ولعلّ ذلك يجعل من خروج التوابع عن المركز يكاد يكون صعباً للغاية، إن لم يكن مستحيلاً.

في هذا السياق، فإنّ إدارة بايدن خلال شهر واحد من تولي الرئاسة في أميركا، قد طرحت العديد من المبادرات بشأن الإقليم، وهو ما يفسّر سرّ الاهتمام الأميركي بالمنطقة بالمقارنة مع المناطق الأخرى في العالم. وقد يكون ذلك راجعاً بالأساس إلى نقطتين، الأولى: وجود الكيان الصهيوني في قلب الإقليم على أرض فلسطين المحتلة، والثانية: هو الوضع الجيواستراتيجي للإقليم باعتباره وسط العالم. فما الذي طرحته إدارة بايدن حتى الآن؟

طرحت إدارة بايدن، رؤية استراتيجية متكاملة حسب تقديري، وبمنهج الخطوة/خطوة. بمعنى أنّ كلّ يوم يصدر قرار أو أكثر إزاء الإقليم، وأصبح الجميع ينتظر ما يصدر عن بايدن ومساعديه، كلّ يوم.

وقد كانت البداية هي ضرورة وقف الحرب على اليمن، وخاطبت السعودية والإمارات بذلك، ورحبتا على الفور، لدرجة أنّ الإمارات بدأت تفكيك قاعدة عسكرية لها في اريتريا، وسحب الوجود العسكري لها، في مناطق محدودة في عدن، وجزيرة سوقطرة، وإعطاء ظهرها للموضوع نهائياً. في الوقت نفسه الذي قبلت السعودية ذلك، بعد ما يقرب من ست سنوات فشل، وأصبح الحوثيون، ربما في المعادلة بعد أن كانوا مجرد كيان هش في تقدير السعوديين. وتأكد بالتالي نمط التبعية، حيث إنّ المركز قرر وقف الحرب في اليمن، وقبلت الأطراف

المباشرة في الحرب طبقاً لتعليمات المركز (أميركا)، خاصة بعد القرار الأميركي بوقف التسليح لكلّ من الإمارات والسعودية!

وتلت ذلك خطوة كبرى، في إعادة الولايات المتحدة للاتفاقية النووية مع إيران، وأخيراً قرّرت إدارة بايدن في ضوء الرسائل المتبادلة وغير المباشرة، بين أميركا وإيران، أن تعود إلى الاتفاقية، ووافقت على استمرار الحوار مع إيران عبر الاتحاد الأوروبي على خلفية الاتفاق المعروف بـ (٥ + ١).

كما تضمّن القرار الأميركي، بدء رفع العقوبات على إيران، بداية بالاتصال بأمين عام الأمم المتحدة بسحب مطالبة أميركا في عهد ترامب، بتطبيق العقوبات الدولية على إيران، ثم الانتقال بعد ذلك إلى رفع كامل لهذه العقوبات الأميركية على إيران، وهو ما يشير إلى حقبة جديدة من العلاقات بين إيران والولايات المتحدة، وعودة الدفء إلى العلاقات الأميركية الأوروبية بعد برود استمرّ أربع سنوات في عهد ترامب.

وتشير الصحف العالمية داخل الولايات المتحدة، والقريبة من الإدارة الأميركية مثل (واشنطن بوست، وفورين بوليسي)، إلى أنّ بايدن لم يستشر أو يبلغ السعودية (سلمان)، أو الكيان الصهيوني (نتنياهو)، بقراراته إزاء إيران والعودة إلى الاتفاق النووي، قبل إعلانها، بل وربما لم يتمّ التنسيق المسبق قبل القرارات أو بعدها، إلى حدّ كبير. وبالتالي فإنّ المركز يدير الملف الإيراني وفقاً لرؤيته ومصالحه، وعلى الأطراف والفروع التنفيذ وعدم إعلان رأي آخر!

وفي تفسير ذلك الانفراد الأميركي بالقرارات، فإنّ هذا يرجع إلى أنّ إدارة بايدن تصرّ على التعامل مع الإقليم وفقاً لاستراتيجية جديدة، ومتكاملة. ويتساءل البعض، هل هناك إمكانية للخروج عن قرارات إدارة بايدن، من الفروع، واحتمال بإظهار عدم الطاعة لمشيئة المركز؟! أرى أنّ ذلك لا يمكن أن يحدث، حيث إنّ المركز يُصرّ على إظهار أوراق الضغط على هذه الفروع لإجبارها على الانصياع، وفقاً للإرادة الأميركية.

فنجد أنّ إدارة بايدن، أعلنت أنها ستفتح وتكشف عن الملف السري لمقتل جمال خاشقجي في السفارة السعودية في تركيا، ويشمل مرتكبي الجريمة في مقدمتهم محمد بن سلمان والمسؤولين الكبار في السعودية والمنطقة! وذلك خلال أسبوع! ويعني ذلك عدم رضاها عن ابن سلمان، واحتمالات بإعادة النظر في منصبه الحالي والمستقبلي ككلّ، وعدم رضاها على من اشترك من المسؤولين التابعين في الإمارات ودول أخرى شاركت في الإقليم. ولمجرد التلويح بفتح هذا الملف، كفيل بإسكات كامل لمحمد بن سلمان، ومحمد بن زايد! وعلى الجانب الآخر، فإنّ مجرد الإشارات إلى نتنياهو، بأنه لم يعد مقبولاً لدى إدارة بايدن، بما يعني قرب رحيله في الانتخابات المقبلة، وتأخر اتصال بايدن معه، لثلاثة أسابيع، هو كفيل بإسكات نتنياهو، أيضاً.

بل إنّ قرارات بايدن، بعدم الاعتراف بـ "السيادة" الصهيونية على الجولان، وإلغاء قرار ترامب في هذا الصدد، وكذلك إلغاء قرار ترامب بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، هي إشارات لوقف أو تجميد التوسّع في التطبيع العربي مع الكيان الصهيوني، وصفقة القرن!

كذلك فإنّ قرارات بايدن بخصوص القضية الفلسطينية، من العودة إلى منظمة الأونروا، وتمويلها، وإعادة صرف المعونة الأمريكية للسلطة الفلسطينية، وإعادة التمثيل الفلسطيني في أميركا، وغيرها، هي إشارات تعيد التوازن النسبي للسياسة الأميركية الجديدة في المنطقة. وهذا لا يعني أنّ سياسات أميركا عامة، هي سياسات عادلة تجاه القضية الفلسطينية. إلا أنّ الجديد هو أنّ إدارة بايدن، تطرح رؤية استراتيجية، وتسعى إلى فرضها على التوابع، إلى حدّ الإجبار. ويمكن فهم واستيعاب هذه الرؤية الشاملة من خلال متابعة الخطوات والقرارات التي تصدر تباعاً عن إدارة بايدن، كلّ يوم.

وخلاصة القول: إنّ الإقليم يدخل مرحلة عصف أميركي شديد، وإنّ محور المقاومة مطالب بتتبّع ذلك بحرص وحذر، من دون تجاهل أنّ أميركا وكلّ المستعمرين لا يحترمون إلا الأقوياء، ولا يتراجعون إلا أمام القوة.

لماذا يتحدث المسؤولون الصهاينة عن خطر زوال إسرائيل؟

في مقال نشرته مؤخرًا صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية، حذّر «يوفال ديسكين» الرئيس السابق لجهاز الأمن الإسرائيلي العام «الشاباك»، من خطر زوال الكيان الصهيوني بعد جيل(٢٥ عامًا)، وقال إن «الأخطار التي تهدد وجود إسرائيل ليست خارجيةً، بل داخلية".

القضية المهمة والمثيرة للتفكير الآن هي، أنه أثناء تعداده للأزمات الداخلية التي يعاني منها الكيان، فإنه يقرّ بإمكانية تدمير الدولة الصهيونية وزوالها نتيجةً لهذه الأزمات؛ وهي أزمات تحدث في أجزاء أخرى كثيرة من العالم، ولكن الآثار السلبية الخطيرة لهذه الأزمات عادةً ما تقدّر بإمكانية الثورة وإسقاط النظام السياسي وحتى تفكك الدول، وليس التدمير الكامل لبلد ما.

وبالتالي، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، لماذا ترى السلطات السياسية الصهيونية والنخب العلمية أن زوال هذا الكيان وما يسمونه الدولة أمر مفترض وممكن؟

مع الدول الأخرى في المنطقة، ومجموعة الدول التي تعيش معاً في منطقة واحدة.

ولذلك، لا يستطيع الكيان الصهيوني التكيُّف مع البيئة التي يعيش فيها، وأن يصبح عضوًا متوافقًا مع الأعضاء والمكونات الأخرى للنظام الإقليمي.

إن الأهمية الجيوسياسية للشرق الأوسط باعتباره قلب التطورات العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين ومسألة نفط، جعلت الإمبريالية الغربية تدرك ضرورة إقامة موطئ قدم لها للتدخل في المنطقة. ولذلك، كان لا بد من زرع عنصر في المنطقة من الخارج، من أجل توفير موطئ قدم قوي للقوى الغربية لاستغلال المنطقة.

في الواقع، إن الكيان الصهيوني كداعم لتقسيم العالم بعد الحرب العالمية الثانية، خدم أمريكا لمدة أربعة عقود في واحدة من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم. لذلك، كانت «إسرائيل» منذ نشأتها في خدمة الإمبريالية الغربية كثكنة عسكرية، أكثر من أي شيء آخر.

يمكن فهم طبيعة الكيان الصهيوني لكونه تابعاً وأداةً للغرب، من خلال النظر إلى اعتماده الكامل على الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي الأجنبي.

حيث يتحدد الوضع الاقتصادي للكيان الإسرائيلي إلى حد كبير من خلال دوره كشرطي للإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط. كما يتلقى مساعدات أكثر من أي دولة أخرى في العالم، ومعظمها ينفق في المجال العسكري.

ولهذا السبب، وبعد دعم بريطانيا الثابت لإقامة الدولة الصهيونية في وعد بلفور(١٩١٧)، أصبحت الولايات المتحدة داعمًا رئيساً للصهاينة بعد نجاحها في الحرب العالمية الأولى، ومحاولتها لعب الدور في تطورات الشرق الأوسط.

أقرت أنشطة «المنظمة الصهيونية الأمريكية» خلال الحرب، زيادة المهاجرين اليهود إلى فلسطين إلى حد إقامة دولة صهيونية. وقد أعلن الرئيس الأمريكي «فرانكلين روزفلت» دعمه القوي للخطة الصهيونية. كما فعل «ترومان» من بعده الشيء نفسه، واستمر هذا الدومينو حتى يومنا هذا.

"إسرائيل» دولة بلا شعب

على الرغم من أن الدولة الصهيونية تمتلك ظاهريًا جميع العناصر المكونة للدولة، أي الأرض والسكان والسلطة، ولكن فإن الشعور بغياب عنصر الأمة(شعب لديه شعور عام بالانتماء إلى تاريخ مشترك والرغبة في العيش معًا)، باعتباره العنصر المكوِّن الرئيس لأي بلد، موجود بقوة في هذا الكيان منذ البداية، ولا يزال هذا الأمر قائماً بعد مضيّ ٧٠ عامًا.

ولذلك، ذكر رئيس الشاباك السابق هذا العنصر المهم، في ذكره لبعض أسباب القلق من تدمير «إسرائيل» في المستقبل القريب.

حيث قال ديسكين: «وفقًا لوقائع وبيانات مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل، بعد ٤٠ عامًا، سيكون نصف المواطنين الإسرائيليين من الحريديين والعرب، وأهمية هذا الأمر هو أن نعرف القاسم المشترك بين هاتين المجموعتين اليوم، ولماذا سترسمان صورة الحكومة في المستقبل، وتؤثران على سلطتها ووجودها بعد ٣٠ أو ٤٠ سنة أخرى".

على الرغم من أن هذا المسؤول الصهيوني يشير إلى مجموعتين اجتماعيتين فقط، ولكن هذا الكلام ينطبق على جميع اليهود الذين يعيشون في الأراضي المحتلة.

إن اليهود الذين يعيشون في الأراضي المحتلة اليوم، قد اجتمعوا من جميع أنحاء العالم في إطار مشروع سياسي مخطط له، وكان سبب هجرتهم إما التطورات بين الحربين العالميتين أو البحث عن حياة مزدهرة. لذلك، لا يزال جزء كبير من اليهود يعتبرون هويتهم الوطنية في مكان ما خارج الأراضي المحتلة وجنسية أخرى.

كما يعترف ديسكين قائلاً: «يفضّل الكثير من اليهود العيش في مكان آخر غير الأراضي الفلسطينية المحتلة".

واليوم يواجه الكيان ظاهرةً تسمى «الهجرة العكسية»، حيث يغادر المستوطنون «إسرائيل» ويهاجرون إلى دول أخرى لأسباب مختلفة، ولا سيما استمرار انعدام الأمن والفشل في تحقيق حلم «الرفاه الاجتماعي".

انتهاء صلاحية الأيديولوجية الصهيونية

الصهيونية هي لاصق أيديولوجي يربط الدولة الصهيونية ببعضها البعض. تؤمن الصهيونية بأن اليهود هم شعب اللّه المختار، وأن فلسطين هي الأرض التي اختيرت ليعيشوا فيها.

كما غذّت الصهيونية وعزّزت باستمرار فكرة أن اليهود لا يندمجون أبدًا في شعوب أخرى، وبالتالي يتعين عليهم تكوين أنفسهم في دولة تتوافق مع جنسيتهم. وقد تم التأكيد على هذا التفسير للنصوص الدينية(التوراة والتلمود) في شكل وثائق تاريخية وتراث يهودي، من قبل الأقسام العلمانية والمعادية للدين.

ومع ذلك وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية، تعزّزت الميول الدينية، وبالتالي تم إضفاء الطابع المؤسسي على الفجوة بين الأصوليين الدينيين والعلمانيين الداعين لما بعد الصهيونية.

وفي مثل هذه الظروف، لا يستطيع الكيان الصهيوني إدارة النزاعات الدينية كما يحلو له. والأحزاب والحركات الدينية تريد تعريف الكيان الصهيوني على أنه نظام يهودي، وإضفاء الطابع المؤسسي على التمييز الديني.

-هذا في حين أن الأحزاب والتيارات العلمانية، ومع التأكيد على الطبيعة العلمانية لهذا الكيان، تحاول دمج الأقليات غير اليهودية في هذا المجتمع، وهذا ما كشف التناقضات الخفية في الأيديولوجية الصهيونية أكثر من أي وقت مضى.

الوقت

أنيس فلسطين... لم ينته النقاش!

ناصر قنديل

– لن ينتهي النقاش حول أنيس الذي طوى مرحلة من المسيرة، وسيبقى حاضراً أبعد من الذكريات الكثيرة، والأسرار الدفينة، فالروح التي تقاتل تحضر ولا تغادر وروح أنيس النقاش واحدة من هذه الأرواح النادرة في الصفاء والنقاء والتوثب والشجاعة والمبادرة واللطف والحضور. في مطلع السبعينيات ونحن نتلمّس مكانتنا في ساحات النضال كان أنيس القدوة والمثال الذي نتبع ظله ونبحث عن حضوره، من دون أن نعرفه عن قرب. ونحن هنا جيل شبابي كامل كان يتأهب لحمل السلاح نحو فلسطين، وعندما شاهدناه في عمليّة وزراء أوبك صفّقنا لهذه البصمة التي شرّفت لبنان واللبنانيين بحضور عرس كبير لفلسطين، وكان أنيس العريس، وعندما التقينا في بنت جبيل ورشاف عام ١٩٧٧ ولاحقاً في مقاومة احتلال ١٩٧٨ والصواريخ إلى خلف الحدود، لم نستطع جمع الرموز بين محطات محورها أنيس النقاش، وكأن الذي عرفناه في كل حلقة هو شخص مختلف، لكنّه كان أنيس، الذي تيقنا من جمعه لهذه الحلقات في سلسلة حريته وهو سجين في باريس بعد محاولته إعلان بصمته في عقاب شعوب المنطقة لنظام الشاه ورموزه، وإشهار الموقف الى صف الثورة الإسلاميّة التي رفعت علم فلسطين في طهران، لنعرف لاحقاً أن أنيس كان من المجموعة الصغيرة التي خططت لذلك مع رفاقه الذين صاروا لاحقاً قادة الحرس الثوريّ، الذي ألقيتهم في طهران عام ١٩٨٠، وهم يتحدثون عن أنيس وحريته كالتزام لا حياد عنه في مستقبل أي علاقات فرنسية إيرانية.

– من تلك اللحظة كان الشهيد القائد عماد مغنية حاضراً، حتى لحظة حريّة أنيس بمفاوضات أدارها العماد، وهو يدير ما سيغدو أعظم تجارب المقاومة في المنطقة، والتي سيغدو أنيس العائد أحد أبرز مفكّريها، بعقله الحر وفكره اللامع وثقافته الموسوعيّة وتهذيبه ورفعة أخلاقه، وتصدّيه لكل صعب لا يُنال، وتحدّيه ليقدم القدوة والمثال، فهو حتى لو لم يكن منذ هذه اللحظة بين من يحملون السلاح، لا يترك للنضال الساح. ومنذ هذه اللحظة بدأت صداقتنا القريبة، وصار التواصل بلا انقطاع، وكرم الأنيس في اللقاء عندما يكون في طهران انشغال واهتمام بكل قادم من رفاق الدرب من بيروت، مرّة يكون العماد مضيفاً ومرة يكون الأنيس، حتى رحل العماد، فحاول ما استطاع ألا يشعر أحد أن شيئاً قد تغيّر، وهو في كل المعارك في أول الصفوف، وفي كل الاحتفالات في آخرها، تخجله الأضواء ويكره المناصب والمكاسب ولا يهزّ عضده الإغواء، يبحث عن المقاتلين ويأنس جلساتهم وسماعهم في قلب كل معركة، وينصت لتقييماتهم بعدها، حتى حضر القاسم فصار رفيقاً وأنيساً، وربما كان للحرب على سورية فضل اتخاذها مسكناً ومقراً لأنيس، ليتاح لهما تواتر اللقاء وبساطته، يعزّي أحدهما الآخر بغياب العماد ويحاولان ملأ الفراغ، حتى جاء رحيل القاسم جرحه البليغ وهو يبتسم بانتظار اللحاق.

– كل مَن يفكر ويبحث عمّا هو أبعد من سطح الأحداث، ولا يهدأ بحثاً عن حل لقضية في قلب الحرب، كان لا بد أن يهرع الى انيس عارضاً ما التمع في عقله، ويقدح معه زناد الفكر ليستكشفا معاً تحليقاً لا يتوقف في فضاءات الفلسفة والوجود والاستراتيجيات والتكتيكات حتى تتبلور الفكرة مشروعاً، وحين تصير صديقاً لأنيس لن يفوتك منه سعي لنقاش حول فكرة جديدة تشغل باله ويسعى لإنضاجها، فقد أصبحت محظوظاً بأنيس فكر ورفيق درب، قد يتصل آخر الليل أو في الصباح الباكر ليقول بأدب ولطف، ألديك وقت للتحدّث قليلاً، وتجيب بالطبع فيبدأ تحليقه وتدفقه بلا توقف، وتلتقيان وتقرّران كتابة التصورات والسعي لإيصالها، وأنيس صاحب مشروع التشبيك بين لبنان وسورية والعراق وإيران وصولاً إلى تركيا بعد انضباطها بمعايير الخروج من العدوان على سورية، لبناء سوق مشتركة، وحلّ الأزمة الكردية، وتشكيل محور اقتدار إقليمي لا يمكن كسره، يشكل ظهيراً للمقاومة التي لم يشكّ يوماً بأنها ذاهبة بكل فخر وعز وقوة الى فلسطين.

– قبل حرب تموز ٢٠٠٦ بأيام وفي ظل توقعات بحرب مقبلة، تشكلت مجموعة عمل استراتيجية وإعلامية لدعم المقاومة في أي حرب، وكان أنيس في الطليعة، وكل صباح من صباحات أيام الحرب كان دفتره مليئاً بالملاحظات، وصوته متدفقاً في الحضور، وكان أستاذاً في التواضع والأخلاق، ومصغياً للأفكار، ومتطوعاً لأبسط المهام، مثبتاً أنه لا يتعب ولا يستصغر عملاً، وهمّه الأول والأخير أن مسيرة شكلت هاجسه وقضية حياته تتقدّم، وخلال الحرب على سورية كنا نتقاسم الحضور والمواقع والأدوار ونتبادل الآراء والتحليلات، ونشغل محرّكات عقولنا بعيداً عن العلب التقليدية بحثاً عن جديد، ويفرح أحدنا لكل التماعة فكر جديدة، وكل استنتاج يخرج عن المألوف، ونضحك كثيراً عندما نسمع أوصاف من يقفون في المعسكر الآخر لنا، يقول، اللي بيعرف بيعرف واللي ما بيعرف بيقول كف عدس، دعهم يا صديقي يتلهّون في تحليلنا ولننصرف نحن لتحليل الحرب وكيف يُصنع النصر.

– في عام ٢٠١٣ وفي احتفال لتكريم المتسابقين في إحدى دورات شبكة توب نيوز التي أطلقتها في الحرب، دعوت أنيس مكرّماً ومتحدثاً، فكان حضوره المتواضع والمتدفق آسراً، لا يزال الذين حضروا يستذكرونه وسيتذكرونه أكثر اليوم وهم يعلمون أنهم صافحوا يد قائد، لم تلوّثها عمولة ولا عمالة، ويد مفكر تعرف رائحة الحبر في جيناتها ورائحة البارود بين جنباتها، رحم اللّه القائد المفكر أنيس النقاش.

– ستبقى الأنيس، أنيس فلسطين وسورية واليمن والعراق وإيران والبحرين ولبنان، وأنيس بيروت التي أحببت، وأنيس الشهداء، ولم ينته ولن ينتهي النقاش.